عمارة القرن العشرين
قراءة في ثقافة العمارة والمعماري أدولف لووس

د. وليد أحمد السيد

العمارة في القرن العشرين

تستعرض بعض الكتب التي صدرت حول عمارة القرن العشرين أهم ملامحها وأبرز المعماريين العالميين الذين صاغوا أبجدياتها بما نعرف اليوم وكما عرّفت البيئة المحيطة من حولنا. ومن أبرز هذه الكتب، الكتاب الذي بين أيدينا، حيث نعرض من خلاله لأبرز ملامح هذه العمارة وهو الكتاب الموضح والغني بالصور والذي يمكن اعتباره أيضا كتابا مرجعيا، معا في مجلد واحد. وهذا الكتاب يأخذ القارئ من خلال رحلة العمارة خلال القرن العشرين. ويسلط الكتاب الضوء على لحظات مفتاحية مهمة، ونقطة تحول، ويقدم مساهمات خاصة لفهم لماذا وكيف اكتسبت الهندسة المعمارية في جميع أنحاء أوروبا والولايات المتحدة بعض الزخم من الفن، والعلوم، وغيرها من العوامل السياقية التي شكلت الإطار النظري وأثرت في ممارسة الهندسة المعمارية إلى نقطة اللاعودة حتى يومنا هذا. رحلة هذا الكتاب تبدأ من الثورة الصناعية، كنقطة تاريخية بالغة الأهمية في الوقت المناسب لضبط التحضيرات من أجل الحداثة، والتي تأخذ القارئ من خلال فكر مدرسة شيكاغو، و›عمالقة الحديد‹ و›الزجاج البكر‹. ومن ثم يتوقف بشكل لافت في مصنع حديث، كما يقف أمام الإبداع الذي جسده استخدام مواد الخرسانة المسلحة حديثا. من ١٩١٢ – ١٩٤١ الكتاب يسلط الضوء على حقبة أخرى جسدت الاضطرابات وتصاعد الحداثة مع عودة الفن، والتجارب الحجمية، والمجمعات السكنية، ومفاهيم «آلات للعيش فيها ‹، وولادة نمط الدولية، و»صفقة جديدة» . حقبة ١٩٤٤-١٩٧١ يتم تمييزها في هذا الكتاب في وقت عندما كان شكل من اشكال الفن في أوج عظمته، وتسليط الضوء على حالات دراسية، بالإضافة إلى تأملات في مقولة ميس فان ردوه ›الأقل هو الأكثر»، وحاويات الخرسانة. الدفعة الأخيرة في هذا الكتاب تتمثل من خلال قراءة نقدية للفترة ١٩٤٧-٢٠٠٤. والكتاب يأخذ القارئ إلى «التعلم من لاس فيجاس ‹، من خلال بعض الأعمال في الحداثة، والهياكل المفتوحة، والمدينة الحديثة، و»القصائد الملموسة»، قبل أن ينهي هذه الرحلة المعمارية داخل› انحناء الفضاء». هذا هو كل ما يكون في نهاية كل عمل مرجعي للعمارة في القرن العشرين. من فرانك لويد رايت لأنتوني غاودي لفرانك جيري. إلى شيجيرو بان وما بينهم وغيرهم من عمالقة الفكر المعماري في القرن العشرين. وقد تم ترتيب الفصول زمنيا ووضعها وتنظيمها في منظورها الصحيح، والكتاب يحتوي على من مئات من الصور كبيرة الحجم فضلا عن وفرة الرسومات والمخططات. في الملاحق تم إدراج السير الذاتية الخاصة بأعظم المهندسين المعماريين في القرن العشرين، بما في ذلك المواهب الجديدة. هذا الكتاب هو عمل مرجعي لا غنى عنه وواجب يجب لجميع عشاق الهندسة المعمارية! أما عن مؤلفي الكتاب فهما بيتر غوسيل والذي يدير وكالة للمتحف وتصميم المعارض. وقد نشر دراسات عن جوليوس شولمان، شندلر، جون لوتنر وريتشارد نيوترا فضلا عن العديد من العناوين في سلسلة العمارة الاساسية. وجابرييل ليوتوسر والتي عملت كزميل العلماء في سنتروم نورنبرج حتى عام ١٩٨٤. كما عملت مستشارا لتقديم المشورة على المعارض والمتاحف، والمؤسسات الصناعية حتى وفاتها في عام ٢٠١٣.

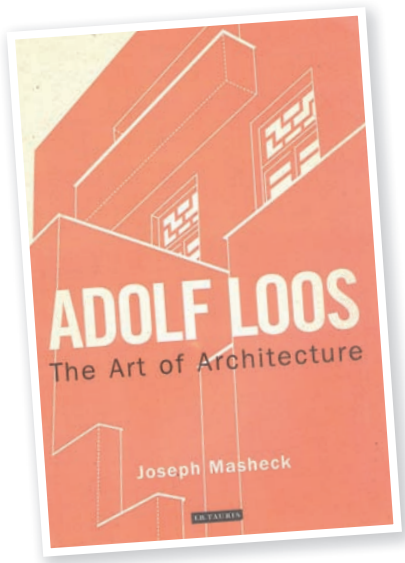

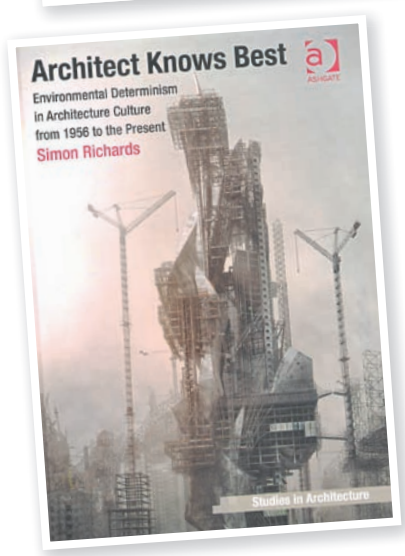

المعماري يعرف أفضل

هذا الكتاب هو عن بعض الأشياء التي تغيرت في الهندسة المعمارية والتخطيط في النصف الثاني من القرن العشرين. وبشكل أكثر تحديدا ومحوريا، فهو عن شيء واحد لم يتغير، فكرة أن النوع السليم من المباني التي يمكن ان تغير حياتنا لنمط أكثر سعادة وأكثر صحة، وبحيث يكون الناس على نحو أفضل. هذا الكتاب، مع ذلك، له هدفان. أولا، فإنه يتتبع تاريخ الأمور التي تغيرت في العمارة والتخطيط على مدار نصف قرن من خلال النظر في بعض أعمال أهم المصممين والكتاب والمباني والحركات. ثانيا، والأهم من ذلك، فإنه يطرح وجهات نظر تتعلق بالمظاهر الحاسمة التي بقيت على حالها، ومنها الاعتقاد بأن العمارة والتخطيط قادران على تحويل العالم وجميع السكان الذين يعيشون فيها ويستفيدون من إفرازاتها من مظاهر البيئة المبنية بشكل أفضل وللأفضل.

وتركز الفصول على النظريات والأطروحات التي تناقش فيها القضايا الحيوية بشكل أكثر تركيزا وبنظرة طموحة، وحيث كان لنتائج هذه المناقشات تأثير على البيئة المبنية. الأطروحات الأساسية والنقاط التي يتطرق لها الكتاب تشمل، دور العمارة في تنشيط المجتمع، والمسؤولية المدنية والمجال العام، ودور الهندسة المعمارية في إعادة ربط الناس مع الماضي، في كلا المجالين التاريخ العام والذاكرة الخاصة، والصفات الخاصة والروحية تقريبا الخاصة بالمكان والحيز الفراغي والتنسيق الطبيعي، فضلا عن أهمية احترام جسم الإنسان، والحواس والعواطف، ودور العمارة كلغة يمكن أن تدعم معاني ومفاهيم المشاريع الكامنة بها، وتعلمنا التفكير والتواصل بشكل أكثر إرضاء، والعلاقة بين العمارة والتجارب المقلقة لأنماط الحياة المعاصرة، ووسائل الإعلام المشبعة وأنماط الحياة المرتبطة بها.

لا يزال المهندسون المعماريون والمخططون الحضريون يخبرون الناس كيف يجب أن يعيشوا، وهذا مرتبط بعدد وافر من الأفكار حول طبيعة الإنسان وعن النفس، وعن المجتمع، والقيم الروحية، والنمو البدني، والعقل والذاكرة، وأشياء أخرى كثيرة إلى جانب هذه الأطر الفكرية والمحورية. الكتاب في جوهره يستكشف الأفكار التي تتقاطع بين العمارة والحياة.

لقد تم انتقاء الأمثلة في هذا الكتاب من بريطانيا وأوروبا والولايات المتحدة، والمواقع الجغرافية التي هيمنت على الخطاب في هذه المجالات. ويجادل جون إيفلين أن المباني ومدننا تتشكل من خلال أربعة أنواع مختلفة من المهندس المعماري، تعميل بشكل تعاقبي وجنبا إلى جنب، ولكن في كثير من الأحيان في صراع: البنّاء، والمصمم، والراعي صاحب العمل والكاتب. مع أخذ ذلك في الاعتبار، هذا الكتاب لا ينظر فقط في أعمال المهندسين المعماريين والمخططين المؤثرة، ولكن أيضا في مداخلات الصحافيين وعلماء الاجتماع والفلاسفة.

أدولف لووس: فن العمارة

ومن أهم ملامح عمارة القرن العشرين وثقافتها نقف أيضا مع واحدا ممن أثروا في العمارة الحديثة. حيث إن أدولف لووس يعتبر واحدا من أهم «حواريي» الهندسة المعمارية الحديثة. فقد كان أدولف لووس يجسد رمزا ثقافيا، إذ كانت أعماله تمثل رموزا أيقونية مع مطلع القرن العشرين. يضم هذا الكتاب الفصول تجسد مواضيعا محببة ولطيفة، مختلفة منها ما هو عام وأخرى خاصة، بعضها نظرية وأخرى حسية ملموسة من أعماله ومشاريعه. وفي الكتاب الذي يحمل اسمه نستعرض أبرز محتوياته وفصوله تاليا.

الفصل الأول يثير أسئلة إشكالية عن أدولف لووس كمهندس فنان. ففي الوقت الذي يمكن أن يكون فيه أدولف لووس فنانا ومضاد للفنان، أو مهندسا ومضادا للمهندس، فإن أية احتمالية بأن يكون مغايرا للفنان يمكن تجاهلها من خلال دلالات التفكير الشكلي من خلال بعض الأعمال المعاصرة في الفن مثل أعمال سيزان وبعض الفنانين الأخرين المنتمين لمدرسة الفن المعاصر.

ويتناول الفصل الثاني بشكل غير مباشر مسألة موقف أدولف لووس من العمارة المناخية، التي، على الرغم من أنها ليست موضوعا متعلقا بالهندسة المعمارية كفنون تطبيقية، لكنها مع ذلك مشكلة فنية على المستوى الشعبي. وفيما إذا ما كان شيئا ما في الفن المعماري أو لا فهذا يستدعي سؤالا في مسألة الفكر الكلاسيكي في العمارة المتفق عليها أو التي يمكن تعريفها أنها «مضمونة»، دائما وفي كل مكان، مقابل العمارة المناخية المحلية. يطرح هذا السؤال، الذي له صلة وثيقة بأعمال أدولف لووس، بشكل غير مباشر عن طريق تمركز النقاش حول مبنى ما قبل «اللووسية»(نسبة إلى لووس)، في أمريكا وفي بريطانيا الاستعمارية ، وحيث إن محبة بريطانيا كانت تشكل اهتماما لأدولف لووس لطابعها، والتي قد تبدو حتى «لووسية» على نطاق واسع إن تم النظر إليها كإحدى مظاهر العمارة المناخية القوية.

الفصل الثالث لا يتطرق فقط لأصله وهويته العرقية الغامضة المعقدة، كشاب ألماني يتحدث النمساوية، مولود في مورافيا، في أراضي جمهورية التشيك، يعيش على ذكائه في مدينة نيويورك في الوقت الذي طفق يبحث عن كل ما يمكنه تعلمه في مجال العمارة، لكن هذا الفصل أيضا يتكهن أيضا حول علاقته مع المدينة في منتصف التسعينيات من القرن التاسع عشر. في مركز النقاش لهذا الفصل هو أول تصميم له بعد عودته إلى فيينا، وهو كنيسة اليوبيل المتوقعة للإمبراطور فرانز جوزيف التي تأثرت في فكرتها بمفاهيم الفنون الجميلة» الفرنسية، وتعلو كبناء كلاسيكي مهم بعد عودة لووس من نيويورك لوطنه.

الفصل الرابع يتناول مسألة إسقاط لووس للزخرفة من عمارته. ومن هنا فالمهندس المعماري الفنان لووس يصل إلى قناعات مركزة بشكل أفضل بالنسبة لفهم النظرية المعارضة للزخرفة، رغم أن هذا الأمر لم يكن بهذه البساطة. الفصل الخامس يطرح أحد ثاني أهم النصوص المشهورة لأدولف لووس «العمارة»، حيث يتوصل هذا الفصل، بالإضافة إلى مشروعين مصممين من قبل لووس إلى كشف أنهما يحتويان على الزخارف، بشكل يتناقض من أي محتوى بسيط للفكرة الافتراضية (الكل أو لا شيء).

الفصل السادس يتعلق مشروع يجسد التقابل والعلاقة بين «المركزية العاصمية» وبين كلاسيكية العالم القديم والتي لم تكن مطلقا تحت وعي» لووس»، أو الإثارة التي تجسدها أنماط المباني الأميركية الجديدة، وتحديدا ناطحات السحاب. في الفصل السابع يتم عرض إمكانية تحقيق «اللاعمارة» بطريقة الاعتراف بالمشكلة النظرية في رفض التعامل مع الواقع «لأدولف لووس»، والتي تحوي أعمالا ومشاريع ومباني تم تصميمها من قبل ما يعرف «بالمعماريين». أما الفصل الثامن فيتعلق بسؤال آخر متعلق بأعمال «لووس» على أنها ليست «خالية من النمط»، وتحديدا البيت الذي صمم لأخت الفليسوف «وتنجستين» في فيينا. وأخيرا يستعرض الفصل التاسع والأخير بعض الخلفية التاريخية لإشكالية ما يسمى «التبسيطية» خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر.

قراءات في كتب

٢٠th Architecture in the - century، Peter Gossel and Gabriele Leuthauser، ٢٠١٢ TASCHEN
Architect Knows - Best، Environmental Determinism in Architecture Culture from to the Present، Simon ١٩٥٦ ٢٠١٢ Richards ، Ashgate
Adolf Loos، The Art - of Architecture، Joseph ٢٠١٣ Masheck، I.B.Tauris